

حركة المقاومة الإسلامية

حماس

دراسات في

الفكر والتجربة

تحرير

د. محسن محمد صالح

المشاركون

أ. د. أحمد سعيد نوفل	أ. أسامة حمدان	أ. إسماعيل هنية
د. إشتياق حسين	أ. بلال الشوبكي	د. حافظ الكرمي
أ. خالد مشعل	د. رائد نعييرات	أ. سامي خاطر
أ. سميح حمودة	أ. د. طلال عتريسي	د. عدنان أبو عامر
د. محسن محمد صالح	أ. د. مصطفى أبو صوي	د. موسى أبو مرزوق
أ. يوسف أبو السعود	أ. د. يوسف رزقة	



الفصل الحادي عشر

حماس في الدراسات والأدبيات الغربية

أ. يوسف أبو السعود

حماس في الدراسات والأدبيات الغربية

مقدمة:

قررت الولايات المتحدة تصنيف حماس كمنظمة إرهابية في نيسان/أبريل 1993، وفي سنة 2003 صنفت الدول الأوروبية أيضاً حماس منظمة إرهابية.

قام الفلسطينيون في الضفة الغربية وقطاع غزة، في كانون الثاني/يناير 2006، بممارسة شكل من أشكال الديمقراطية عبر انتخاب ممثليهم للمجلس التشريعي الفلسطيني، عندها حبس صنّاع السياسة الغربيون أنفاسهم نتيجة الفوز غير المتوقع الذي حققته حماس في تلك الانتخابات، والذي عُدَّ حينها بمثابة صعود شعبي لخيار المقاومة في مقابل تراجع لخيار التسوية، وجميع ما نتج عنه من وقائع على الأرض¹، وبالنظر من زاوية أخرى فإن هذا التغيير الكبير وضع حماس في قلب اللعبة السياسية في المنطقة.

أما بين الباحثين والأكاديميين الغربيين، فقد مثَّل هذا الحدث تحولاً كبيراً في النظر إلى الحركة سواء من حيث الكمية في عدد الدراسات المتعلقة بالحركة بعد فوزها، أم من حيث النوعية في النظر إلى دخول حماس في الانتخابات وفوزها، باعتبار ذلك تحولاً في بنية الحركة السياسية والاستراتيجية، باتجاه مزيد الانفتاح والتعامل مع إفرزات العملية السياسية في خضم الصراع العربي الإسرائيلي، حيث نادى حينها بعض الأصوات الأكاديمية بأهمية الوصول إلى فهم أفضل للحركة، والانفتاح عليها باستخدام وسائل جديدة وغير تقليدية.

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة على سؤالين محددين:

1. إلى أي مدى نجحت هذه الدراسات والأدبيات الغربية في فهم حماس على حقيقتها؟
2. ما هي العوامل المحيطة التي تتأثر فيها تلك الأبحاث عند دراسة الحركة؟

في رحلتنا الفاحصة للمادة البحثية المنشورة حول حماس بين المؤلفين والباحثين الغربيين، من السهل ملاحظة وجود مدرستين فكريتين في النظر إلى الحركة. الأولى ترى

¹ "Ruling Palestine 1: Gaza Under Hamas," Middle East Report no. 73, 19/3/2008, International Crisis Group, p. 21.

أن الحركة منظمة عنيفة، تنتهج العمل المسلح، ويطالب أصحاب هذا الاتجاه بإضعاف حماس وإخراجها من حيز التأثير في مشهد الصراع؛ أما المدرسة الثانية فتتنظر إلى الحركة باعتبارها تتمتع بقدر من الواقعية السياسية والمرونة، من حيث كونها حركة اجتماعية سياسية، قابلة للتأقلم والتطور مع المستجدات، وأنها مستعدة للاندماج السياسي في المنظومة الدولية، إن وجدت البيئة المحيطة الآمنة لها ولمشروعها. وعلى أي حال، فإنه من الأهمية بمكان أن نشير هنا إلى دور العوامل الخارجية في التأثير على سلوك حماس السياسي.

في هذه الإطالة المختصرة فإنه لن يكون بمقدورنا أن نتفحص كل ما تمّ نشره من دراسات عن هذه الحركة الفلسطينية، ولكننا سنركز —بطبيعة الحال— على أهم وأحدث الدراسات الغربية المؤثرة، والتي تمّ إعدادها مؤخراً من قبل باحثين لهم مكانتهم في مقاربة قضايا الصراع.

يُعدُّ كل من خالد الحروب² وعزام التميمي³ من أبرز الباحثين العرب الذين عملوا على تقديم رؤية واقعية لحماس من الداخل. ونظراً لأهمية إعطاء أكبر مساحة ممكنة للدراسات الغربية، في هذه العجالة، فإننا لن نقوم بدراسة أعمالهما على أهميتها وحيويتها.

أولاً: حماس كمليشيا عسكرية محافظة:

يُعدّ ماثيو ليفيت Matthew Levitt، الباحث الرئيسي في معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، من أهم الكتاب البارزين في تبني وجهة النظر القائلة بأن حماس منظمة راديكالية، حيث يصنف الكاتب حماس باعتبارها مليشيا "إرهابية" ينبغي على المجتمع الدولي عزلها وعدم التعامل معها. يدّعي ليفيت في كتاباته بأن حماس تستخدم شبكة منظماتها الإغاثية الخيرية وتأثيرها الديني في حماية وتسويق نشاطها المسلح. يجادل ليفيت بالقول في أنّ جميع

² See Khaled Hroub, *Hamas: Political Thought and Practice* (Washington: Institute for Palestine Studies, 2000); and Khaled Hroub, *Hamas. A Beginner's Guide*.

³ See Azzam Tamimi, *Hamas: Unwritten Chapters*; and Azzam Tamimi, *Hamas: A History from Within* (Northampton, Massachusetts: Olive Branch Press, 2007).



منشآت حماس سواء المساجد، أم المدارس، أم دور الأيتام، أم المخيمات الصيفية، أم الاتحادات الرياضية كلها واجهت تستخدمها حماس لتوليد "الإرهاب"⁴.

في إحدى دراساته، يحاول ليفيت إيصال القارئ إلى قناعة أن حماس تستخدم كل تكتيكاتها السياسية في سبيل الوصول إلى أهدافها الأيديولوجية، ومن أجل الحفاظ على بنيتها العسكرية العنيفة. وفوق هذا يقول ليفيت:

على الرغم من دخول حماس في نشاطات سياسية واجتماعية إلا أن هدفها النهائي من هذه التكتيكات ينحصر في المبدأ الجهادي بتدمير إسرائيل. وعليه، لا يمكن اعتبار التصريحات المعتدلة من قبل بعض قياداتها، خاصة أولئك المتواجدين في غزة كالشيخ ياسين، بمثابة إنكار للعنف، ولكنها تخطيط تكتيكي معتمد على الالتزام الاستراتيجي بالعنف⁵.

في دراسة أخرى يحاول ليفيت أن يظهر علاقة بين الخدمات الاجتماعية و"الإرهاب" داخل بنية حماس، حيث يدعي أن "هناك دليل كافٍ ليثبت وجود دور لمؤسسات حماس الاجتماعية في النشاطات الإرهابية والتي يسمح بها ويديرها قادة حماس". وأضاف أن وزارة الخزانة الأمريكية تشارك في وجهة النظر هذه، إذ أنها أعلنت "أن ستة من قادة حماس السياسيين وخمسة جمعيات هم إرهابيون"⁶.

يُعدّ إيلي بيرمان Eli Bermann، الاقتصادي في جامعة كاليفورنيا سانت دييغو University of California (San Diego) ومدير الأبحاث لدراسات الأمن العالمي في معهد النزاع والتعاون العالمي Institute on Global Conflict and Cooperation، أحد أنصار هذا الاتجاه الفكري في التعاطي مع حماس، حيث قام بإصدار دراسة له بعنوان "راديكالية، دينية وعنيفة: اقتصاديات الإرهاب الجديدة".

كما يستخدم بيرمان السياق الاقتصادي في وصف سلوك حماس، ويميل إلى القول إن جميع المجموعات الراديكالية تستخدم كل الدعم المالي المتوفر لديها لتطوير ميليشياتها المسلحة، ويضيف بيرمان كذلك:

Matthew Levitt, *Hamas: Politics, Charity and Terrorism in the Service of Jihad*, p. 5. ⁴

Ibid., p. 33. ⁵

Matthew Levitt, "Hamas from Cradle to Grave," *The Middle East Quarterly*, vol. 11, issue 1, ⁶ Winter 2004, pp. 3-15.

منذ بدء الانتفاضة الأولى، أجبرت [حماس] المواطنين الفقراء على الالتزام في إضرابات عامة للنشاط الاقتصادي، والتي منعت الفلسطينيين من التسوق والقيام بأعمالهم، وفي بعض الأحيان، حتى من الذهاب إلى وظائفهم. لقد حاولوا أيضاً مقاطعة كل الأعمال مع الإسرائيليين، والتي قد تؤدي إلى التضحية بربع الناتج القومي الإجمالي. لقد عملوا على شل العملية السلمية، تلك التي كانت ستعيد لهم الأراضي المحتلة [الضفة الغربية وقطاع غزة]، لتكون تحت سيطرة الفلسطينيين. لأن العملية بالنسبة لهم تمثل تعاوناً مع محتلي فلسطين في سنة 1948، وهي بالضبط عكس الأيديولوجية الصبورة للإخوان المسلمين في مرحلة ما قبل 1988.⁷

إن أكثر ما يميز أعمال بيرمان هو ميله الدائم إلى تصنيف حماس جنباً إلى جنب مع منظمات مثل طالبان وباقي المجموعات الراديكالية الأخرى؛ حيث يذهب بعيداً في تحليله حين يشير إلى أن المجموعات الراديكالية العالمية مرتبطة ببعضها البعض، وهو ينفى بذلك الأبعاد الوطنية في سلوك حماس. ويدعي الكاتب أن "حماس كمنظمة إرهابية تستخدم العمل الاجتماعي للغطية على نشاطاتها الأخرى. إنه من الأفضل أن نفهم [كيف] أن الخدمات الاجتماعية تُستخدم لدعم الإرهاب بغية تحقيق مكاسب سياسية"⁸.

يميل جودت بهجت Gawdat Bahgat، بروفيسور شؤون الأمن القومي في مركز الشرق الأدنى شمال إفريقيا للدراسات الاستراتيجية، وهو مركز تابع لجامعة الدفاع القومي National Defense University، إلى هذه المدرسة، إذ يرى أن إيران تستخدم أعمال "العنف" التي تقوم بها حماس لتقوية موقفها في صراعها السياسي مع الولايات المتحدة⁹. ويضيف بهجت أن إيران تدعم حماس مالياً، لكي تقوم الأخيرة بأعمال عسكرية ضد "إسرائيل"؛ وهي بذلك بحسب بهجت "تستخدم هجمات حماس لتبقي إسرائيل بعيدة عنها"¹⁰.

⁷ Eli Berman, *Hamas, Taliban, and the Jewish Underground: An Economist's View of Radical Religious Militias* (Cambridge, Mass: National Bureau of Economic Research, 2003), p. 9.

⁸ Eli Berman, *Radical, Religious, and Violent: The New Economics of Terrorism* (Milken Institute, 2010), p. 79.

⁹ Jawdat Bahgat, "Terrorism in the Middle East," *The Journal of Social, Political, and Economic Studies*, vol. 32, no. 2, Summer 2007, pp. 174-175.

¹⁰ *Ibid.*, p. 175.



وبمقاربة أقل حسماً في الهجوم على حركة حماس وتصنيفها كمنظمة مسلحة، يقدم حاييم ملكا Haim Malka، نائب المدير والباحث الرئيسي لبرنامج الشرق الأوسط في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية Center for Strategic and International Studies (CSIS)، دراسته التي تشير إلى قيام حماس بتوظيف المؤسسات الإغاثية لنشر أيديولوجيتها بين الفلسطينيين. يوضح ملكا أن حماس تستخدم كذلك هذه المؤسسات للتغطية على نشاطها العسكري. وهنا نشير إلى أن الكاتب وصل إلى هذه النتيجة اعتماداً على دراسة إسرائيلية، حيث يقول: "كان ذلك مبكراً في سنة 1994 وفي إحدى الكتابات الأولى عن حماس، اتُهمت الحركة بتحويل التمويلات التي تصل إلى العمل الخيري لما كان يسمى حينها "نشاطات سرية" أو الجهاز العسكري. وقد أشار آخرون أن الدعوة في حماس هي الحجر الأساس للنشاطات الإرهابية لحماس". يحاول ملكا أن يرسل رسالة مباشرة إلى أن حماس تستخدم نشاطها الاجتماعي والخيري لتطوير موقفها في الصراع، ليس فقط في مقابل "إسرائيل" بل أيضاً في مقابل منظمة التحرير والسلطة الفلسطينية¹¹.

يستخدم ملكا المقاربة الدينية في تبرير تركيز حماس على المؤسسات الخيرية وتوظيفها، ويقول إن المسجد يُعدُّ من أهم المراكز الاجتماعية والخيرية التي تنطلق منها حماس في نشاطها الاجتماعي. وقد تمَّ بناء المدارس والمؤسسات الملحقة، مثل العيادات ولجان الزكاة، حول المساجد الكبيرة أو في داخلها. أما داخل مجمع المسجد فيتم تزويد السكان المحليين باحتياجاتهم المادية والروحية، وهو بذلك يلعب دور مركز المجتمع المحلي. ومهما كان هدف حماس من توفير هذا الدعم، سواء كان لأسباب سياسية أم سداً للاحتياج الشعبي، فإن هذا النشاط يبقى مثاراً للسؤال والشك. ومهما يكن، فإن حماس تحاول بتأمين الخدمات الاجتماعية والاهتمام بالشرائح المهمشة في المجتمع، أن تثبت بأنها تهتم بمعاناة الناس اليومية كما أنها تهتم بالصراع الوطني مع العدو. وتسعى حماس بذلك إلى جعل الدين الإسلامي مرتبطاً بكل مظهر من مظاهر حياة الفلسطينيين¹².

Haim Malka, "Hamah: Resistance and The Transformation of Palestinian Society," in Jon B. Alterman and Karin Von Hippel (editors), *Understanding Islamic Charities* (Washington D.C.: Center for Strategic and International Studies, 2007), pp. 98-126 and p.124, <http://csis.org/publication/understanding-islamic-charities>

Ibid., p. 125.¹²

ويناقدش ملكا بعمق حقيقة الجدل القائم بين الباحثين حول تحوّل حماس . ولكن على الرغم من ذلك ما زالت الحركة ملتزمة بأيديولوجيتها الإسلامية، وهي تستخدم كل التكتيكات السياسية للحفاظ على قوتها. ثم ينهي الكاتب دراسته بالإشارة إلى أن "هذه التحولات السياسية، سواء كانت تكتيكية أم استراتيجية، فإنها لن تغيّر الهدف النهائي لحماس، ألا وهو إقامة دولة فلسطينية على أسس ومبادئ إسلامية"¹³.

ملاحظات على هذا الاتجاه الفكري:

1. لم يقدّم أولئك الباحثون، من أمثال جودت بهجت، ممن يميلون إلى ترجيح التأثير الإيراني وأن إيران تتحكم في حماس لإبقاء "إسرائيل" بعيداً عن الدولة الفارسية، بتقديم أيّ تفسيرات عن سبب قيام الولايات المتحدة والقوى الغربية بفتح قنوات لعلاقات مباشرة وغير مباشرة مع إيران، في الوقت الذي تغلق فيه كافة الأبواب أمام حماس. منذ بداية انطلاقها سنة 1987 بقيت حماس على استقلاليتها، ومارست حماس سياسة مستقلة مع دول المنطقة وفي علاقاتها الدولية، وبشكل يتعارض أحياناً مع السياسة الإيرانية؛ وشاركت حماس في انتخابات 2006 بخلاف النصائح الإيرانية. وقد كان الدعم الإيراني قبل 2006 منصباً على حركة الجهاد الإسلامي، غير أن فوز حماس، جعل إيران أكثر دعماً وانفتاحاً على حماس، دون أن يؤثر ذلك في استقلاليتها. وتُظهر الأحداث في سورية، منذ آذار/ مارس 2011، مستوى الافتراق والاستقلالية في قرار حماس السياسي، حيث وقفت حماس في هذه الثورة إلى جانب حقوق الشعب السوري ورفضت ممارسات نظام الأسد الأمنية والقمعية؛ وهذا ما لم تكن إيران ترغب فيه على الإطلاق بحكم تحالفها مع النظام.

2. يميل العديد من الكتاب في هذا الاتجاه إلى اعتبار حماس منظمة عنيفة في حين لم يتطرق أيّ منهم إلى التطورات السياسية التي طرأت على الحركة. لم يورد لنا هؤلاء سبب انضمام حماس إلى العملية السياسية، وسبب دخولها الانتخابات التشريعية، التي عدت إحدى إفرازات وتجليات اتفاقية أوسلو للسلام. وتدّعي هذه المدرسة أن حماس تنتهج العنف ضدّ "إسرائيل" ولكنها لا تجيب لماذا تستخدم حماس هذا العنف، بل إنها لم تجب عما إذا كان هذا العنف يشكل ردة فعل على الهجمات الإسرائيلية.

Ibid. ¹³



هذا الخط الفكري الذي يمثله كلٌّ من ليفيت وبيرمان لم يراعِ أن عملية اتخاذ القرار داخل حماس تتصف بالواقعية السياسية، والتي لا تقود دوماً إلى عمليات عسكرية ما لم تأت في سياق مشروع مقاومة الاحتلال الذي يُقره القانون الدولي، أو في سياق ردة الفعل، أو بهدف حماية الشعب الفلسطيني من الهجمات الإسرائيلية.

3. أغفلت هذه المدرسة الجذور العميقة لتاريخ الشعب الفلسطيني في النضال لأجل الاستقلال والحرية، والتي تشكل الإطار الفكري لنشوء حماس التي تستمد شرعيتها من وعي الشارع الفلسطيني بأهمية استعادة حقوقه المسلوبة. هذه الجذور تعود في تاريخها إلى حقبة الانتداب البريطاني وكفاح الفلسطينيين لنيل حريتهم، وهو ما يفسر "حماسة" الشعب للعمل والنضال ضدّ "إسرائيل"، وهو ما يفسر — بطبيعة الحال — الشعبية التي تتمتع بها حماس نظراً لعدم تنازلها عن هذه الثوابت. يعمل الفلسطينيون على استعادة أرضهم المحتلة وهم ما زالوا غير راضين بالعملية السلمية التي لم يحصلوا بفعلها على أيّ حقّ، وبالتالي كان الخيار أمامهم هو دعم المقاومة المتمثلة بحماس.

4. بدلاً من أن يقوم هذا الاتجاه الفكري بالدعوة إلى عزل حماس وتحييدها عن المشهد، كان يجب أن يبادر إلى دفع المجتمع الدولي نحو القيام بخطوات حقيقية تجاه مزيد من تهيئة البيئة المحيطة للتفاهم مع حماس، فلقد أثبتت التجربة أن استراتيجية العزل والتحييد لم تؤدّ إلى إضعاف الحركة، بل زادت قوتها وحضورها وتجزرها عبر الزمن.

5. مقارنة الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني ينبغي أن تكون بعيدة عن أيّ مصادر متحيزة، ففي كثير من الأحيان تكون الظروف المحيطة وطبيعة عمل الباحث مصدراً لهذا التناقض، وهذا ما يمكن أن نلاحظه في دراسات من قبل أعمال ليفيت، وبيرمان، وبهجت التي اعتمدت على العديد من المصادر الإسرائيلية في مقارنة حركة حماس، وقد كان الأجدر بهم العمل على الاستماع لوجهة نظر حماس والفلسطينيين، باعتبارهم الشريحة المستهدفة بدراساتهم.

6. إن التركيز على وجود هيمنة لجماعة الإخوان المسلمين على حماس فيه قدر كبير من المبالغة والتهويل، وإغفال للجهد المحلي الذي تقوم به حماس باعتبارها حركة تحرر وطني. لا تنكر حماس جذورها الإخوانية، ولكن ذلك لم يؤثر يوماً على كونها حركة بأهداف وطنية تعمل على مقاومة الاحتلال والنضال لنيل حقوق الشعب الفلسطيني.

7. هناك ما يمكن أن يلاحظ في كثير من أعمال أنصار هذا الاتجاه، فبعض أعمالهم تميل إلى خدمة أهداف سياسية، بدلاً من أن تخدم الأهداف البحثية الأكاديمية المنصّفة. وهنا، كيف لنا أن نُفسر أن يقوم السفير دينيس روس Dennis Ross، المبعوث الأمريكي للشرق الأوسط ما بين سنتي 1988 و2000، بكتابة تقديم لإحدى دراسات ماثيو ليفيت، حيث يلخص روس أبرز ما في الدراسة، ويشير فيها إلى أنه ”يجب وضع حماس في موقف تختار فيه: إما أن تحكم بطريقة ناجحة من خلال تغيير نهجها أو أن تفشل وتفقد مصداقيتها“¹⁴. يقول أندريس ستريندبرج N.T Anders Strindberg، مؤرخ وخبير استخبارات، ”إن الكثير من العمل البحثي حول حماس وكذلك المنظمات الإسلامية الأخرى، يميل إلى كونه دعاية ”سياسية أكثر منها أبحاث علمية اجتماعية“¹⁵.

ثانياً: حماس كمنظمة سياسية واقعية:

تميل المدرسة الثانية من الباحثين والأكاديميين الغربيين إلى اعتبار حركة حماس بمثابة حزب سياسي قادر على التأقلم والتحول بعيداً عن ”العنف“ إن هي وجدت البيئة الآمنة لبقائها. يؤكد العديد من الباحثين، أصحاب هذا الاتجاه، أن حماس، بالرغم من جذورها التي تعود إلى جماعة الإخوان المسلمين، أظهرت تركيزاً واضحاً على الوطنية الفلسطينية في الصراع.

تري الكاتبة والصحفية الألمانية المتخصصة في قضايا الشرق الأوسط، أندريا نوسي Andrea Nüsse، أن حماس ”منظمة وطنية تتمتع، ويا للدهشة، بطبيعة براجماتية، كما لديها وضوح في الرؤية في تحليلها للسياسة الدولية... كما أثبتت مرونة أيديولوجية مثيرة للدهشة“¹⁶. وتناقش نوسي قائلة إنه صحيح أن ميثاق حماس سنة 1988 يحوي شيئاً من التنظير تجاه عمليات العنف ضدّ الصهيونية، ولكن الحركة استطاعت أن تطور في أيديولوجيتها وسياستها لتصبح حركة أكثر شمولاً. وتحاول الكاتبة أن

¹⁴ See Matthew Levitt, *Hamas: Politics, Charity, and Terrorism in the Service of Jihad*, p. ix.

¹⁵ Elin Hellquist, “Outlawing Hamas,” Lund University, Department of Political Science, <http://lup.lub.lu.se/luur/download?func=downloadFile&recordId=1326018&fileId=1326019>

¹⁶ Andrea Nüsse, *Muslim Palestine: The Ideology of Hamas* (Harwood: Harwood Academic Publishers, 1998), p. 2.



توصل رسالة مفادها أن هناك مساحة يمكن ملاحظتها بين ما تصرح به حماس وبين سياساتها على الأرض¹⁷، وهو ما يُعدُّ إشارة تفاعُل إيجابية في مستقبل استجابة الحركة للتطورات السياسية.

أكدت العديد من الدراسات التي تبعت فوز حماس في الانتخابات التشريعية في سنة 2006، على التطور الحاصل في سلوك حماس السياسي أكثر من تركيزها على العمل العسكري المسلح ضدَّ "إسرائيل".

قام جيرون جينينغ، القارئ في سياسات ونزاع الشرق الأوسط في جامعة دورهام Durham University، بتأليف عدد من الدراسات حول حماس. وأكد في إحدى هذه الدراسات الموسومة بعنوان "السلام مع حماس: إمكانية التغيير من خلال المشاركة السياسية"، على أن أحد أهم التعقيدات التي لم تجد لها حلاً في الصراع العربي الإسرائيلي هو ما إذا كان السلام ممكناً بغياب حماس أو قابل للتطبيق بوجودها. ويشرح الكاتب أسباب فشل السياسات الإسرائيلية وأسباب ترجيحه بأن قرار ضمّ حماس للعملية السلمية سيؤدي إلى سلام دائم. اعتمد جينينغ في دراسته الجادة على العديد من المقابلات والمسح الميداني، وأتقن توظيف الإطار النظري من عدة دراسات حول السلام والإرهاب والحركة الاجتماعية. واستطاع نتيجة لذلك تحليل تطور حماس منذ نشأتها وكيف أن التغييرات في القيادة ومكونات الحركة والبيئة السياسية، قد أثرت بطبيعة الحال على مواقف الحركة تجاه السلام والتسويات. ويؤكد الكاتب أن حماس ستبقى عاملاً يسهم في إفشال عملية السلام طالما بقيت خارج العملية السياسية¹⁸.

يؤكد جينينغ في العديد من أعماله أن حماس لديها بالتأكيد احتمالية التحول في بنيتها وسياساتها، إذا ما اقتضت البيئة السياسية المحيطة ذلك. ويضيف الباحث هنا أنه "وبما أن حماس قامت عملياً بإحداث تغيير في أحد هدفها المعلنين — ألا وهو إقامة دولة إسلامية على أرض فلسطين — فإنه وعبر الزمن قد تغير حماس مواقفها تجاه إسرائيل". ويذهب الكاتب أبعد من ذلك ليضيف وبحسب رأيه أن "السياق التاريخي لحماس أثبت أن الحركة تولي اهتماماً بالحفاظ على الدعم الشعبي لها أكثر من "الحفاظ

Ibid., p. 180.¹⁷

Marie-France Guimond, Overview: Literature on Hamas, 2000–2005, site of International Development Research Centre (IDRC), <http://web.idrc.ca/uploads/user-S/11618875251Hamas-rev.doc>¹⁸

على النقاء الأيديولوجي“، وأن ”التزامها بجوهر أهدافها السياسية يتضاءل“¹⁹. ويقول الكاتب إنه على الرغم من ذلك فإن حماس لم تتنازل عن هدفها النهائي في تحرير كامل فلسطين التاريخية، وإنما قبلت بتأسيس دولة فلسطينية في قطاع غزة والضفة الغربية مع هدنة طويلة من دون الاعتراف بـ”إسرائيل“.

يستخدم الكاتب مقارنة هجومية حين ينتقد موقف المجتمع الدولي و”إسرائيل“، وفشلهم في التعاطي مع حماس. ويقول إن شروطهم:

لن تُلبّى إلا إذا قبلت الحكومة الإسرائيلية و”الرعاة“ الدوليين لعملية السلام بأن بعض مطالب مجموعات مثل حماس تنبع من مخاوف حقيقية وتستدعي إصلاح جاد لفحوى السلام المعروض، وللطريقة التي يتم التفاوض عبرها. وإذا لم تكن إسرائيل راغبة في دفع هذا الثمن، فإن على رعاة السلام الدوليين دفعها إلى القيام بذلك كما يدفعون حماس حالياً لذلك، وفي غياب أي رافعات أو محفزات لحماس فسيبقى العنف السياسي هو خيارها²⁰.

كتبت بيفرلي ميلتون إدوارد Beverley Milton-Edwards، الأستاذة في سياسة الشرق الأوسط في جامعة كوينز بلفاست Queen’s University Belfast في المملكة المتحدة، العديد من المقالات الأكاديمية حول الظاهرة الإسلامية في العالم العربي. وقد تمّ إعداد إحدى هذه الأبحاث المتميزة بالتعاون مع ستيفين فاريل Stephen Farrell تحت عنوان: ”حماس: حركة المقاومة الإسلامية“²¹.

تمثل هذه الدراسة، بالاعتماد على العديد من المقابلات الميدانية وبعتماد أسلوب التطور الزمني والفكري لنشأة حماس، مقارنة مباشرة لحماس من الداخل: مقاتليها،

¹⁹ Floor Janssen, *Hamas and its Positions Towards Israel: Understanding the Islamic Resistance Organization through the concept of framing* (The Hague, The Netherlands: Netherlands Institute of International Relations Clingendael, 2009), p. 33, http://www.clingendael.nl/sites/default/files/20090200_cscp_security_paper_jansen.pdf

Citing Jeroen Gunning, “Peace with Hamas? The Transforming Potential of Political Participation,” *Journal of International Affairs*, vol. 80, issue 2, March 2004, pp. 251–252, http://www.chathamhouse.org/sites/default/files/public/International%20Affairs/Blanket%20File%20Import/inta_381.pdf

Jeroen Gunning, “Peace with Hamas?,” p. 255.²⁰

Beverly Milton-Edwards and Stephen Farrell, *Hamas: The Islamic Resistance Movement*,²¹ reviewed by Carmen López Alonso (UK, US: Polity Press, 2010).

ونشاطها الاجتماعي، والضحايا من أبنائها، والداعمون السياسيون لها ولمشروعها، وهي تقدم بذلك لمحة عن نشأة حماس وتطورها وازدهارها في المساجد ومخيمات اللاجئين²². إن مثل هذا النوع من البحث الميداني ورؤية الناس والاستماع لحديثهم في الشوارع، قد يمكن الباحثين من تقديم وصف تحليلي حيادي لعمليات حماس العسكرية²³.

استطاعت الدراسة، بالإحصاءات لكل هذه الشرائح، أن تفسر مقدار الدعم الشعبي الكبير لحماس. إن اعتماد الدراسة على المقاربة الزمنية للحركة أسهمت في تسليط الضوء على الحركة من الداخل: كتائب القسام الجناح العسكري للحركة، والاستشهاد، والانقسام الفلسطيني، كما استطاعت الدراسة أن تبين العلاقة بين المقاومة والسياسة في تاريخ تطور حماس والظروف المحيطة بها²⁴.

واستخدم شأؤول مشعال، الباحث في قسم العلوم السياسية بجامعة تل أبيب، أسلوب الشبكة الاجتماعية في مقارنة حماس. ويدعي الكاتب أن "حماس كما هو حال العديد من الحركات الإسلامية تميل إلى أن تكون إصلاحية أكثر من كونها ثورية، وهي تفضل بشكل عام العمل علناً وقانونياً، ما لم تجبر على العمل تحت الأرض واستعمال طرق "مخرّبة أو عنيفة" كرد على القمع الشديد"²⁵.

وفي دراسته التي نشرها المركز النرويجي لصناعة السلام، ينتقد الكاتب هنري سيجمان Henry Siegman التناقض في سياسات الإدارة الأمريكية تجاه حماس قائلاً "ليس فقط إسرائيل تلك التي أغفلت التغييرات الكبيرة داخل حماس، ولكن الإدارة الأمريكية وأوروبا قد فعلاً ذلك أيضاً، مصرين على حماس بالقبول بشروط المشاركة، التي قد صممتها إسرائيل بوضوح كي تحول من إمكانية قبول [حماس] بها"²⁶.

*Ibid.*²²

Ibid., p. 2.²³

*Ibid.*²⁴

Shaul Mishal, "The Pragmatic Dimension of the Palestinian Hamas: A Network Perspective,"²⁵ *Armed Forces & Society* journal, vol. 29, no. 4, Summer 2003, p. 585.

Henry Siegman, US Hamas Policy Blocks Middle East Peace, Noref Report no. 8, site of the Norwegian Peace Building Center (NOREF), September 2010, p. 5, http://peacebuilding.no/var/ezflow_site/storage/original/application/c4154e8f5a6c4e0dbc761f9ce335bf60.pdf; and see Henry Siegman, "An immodest – and dangerous – proposal," The Middle East Channel, site of Foreign Policy, 9/8/2010.²⁶

يذهب سيجمان أبعد من ذلك، ويضع يده على مكنم التناقضات في الموقف الأمريكي تجاه حماس حين يقارن ذلك بموقف الدولة العظمى من حركة طالبان الأفغانية، فيضيف:

لا يوجد مبرر لاستمرار دعم الولايات المتحدة لهذه الشروط، إذ لم يضع [الرئيس الأمريكي أوباما] مثل هذه الشروط عند الحوار مع طالبان. على النقيض من ذلك، فهو يشجع طالبان على المشاركة في حكومة ائتلافية مع الرئيس حامد كرزاي بالرغم من قتلهم للقوات الأمريكية والمدنيين الأفغان. هل أيديولوجيا طالبان مقبولة لأوباما أكثر من حماس؟ تلك التي معظم قياداتها وأنصارها من خريجي الجامعات، ممن يشجعون ولا يمنعون ولا يعاقبون بناتهم على التعليم²⁷؟

أضافت الباحثة في مركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة هارفارد Harvard University، سارة روي Sara Roy، أعمالاً مهمة إلى مخزون الدراسات البحثية حول حماس، وكان أحد آخر إصداراتها المميزة بعنوان: "حماس والمجتمع المدني في غزة: إدماج القطاع الاجتماعي للإسلاميين". وقد اعتمدت روي على العديد من الدراسات الميدانية وأجرت المقابلات مع المؤسسات الخيرية، والمصارف، والشركات، والناس العاديين في الشارع داخل قطاع غزة والضفة الغربية، واستنتجت في مقاربتها أن مهاجمة القطاع الإغاثي بحجة علاقته بحماس سيزيد من شعبية الحركة ولن يضعفها. وتذهب سارة أبعد من ذلك لتؤكد "في الحقيقة، إن التدهور الاقتصادي الاجتماعي الذي تلا تنفيذ عملية السلام جعل توازن القوى بين الإسلام الاجتماعي والسياسي يميل لجهة الأول، خاصة على مستوى القاعدة، حيث معظم الشعب قد تفاعل مع الحركة"²⁸. إن دراسات هذه الباحثة الميدانية ومقاربتها في الاستماع لمشاعر وآراء الناس واهتماماتهم ومخاوفهم حول مشروعهم الوطني، تستطيع بسهولة أن توضح لماذا تتمتع حماس بهذا الحضور بين أبناء الشعب الفلسطيني²⁹.

ملاحظات على هذا الاتجاه الفكري:

1. نجح هذا الخط الفكري وإلى حد كبير في إعطاء وجهة نظر حول حقيقة حماس من الداخل. يؤكد الباحثون في هذا الاتجاه أنه لا يمكن دراسة حماس بمعزل عما يحيط

²⁷ Henry Siegman, US Hamas Policy Blocks Middle East Peace, p. 5.

²⁸ Sara Roy, *Hamas and Civil Society in Gaza*.

²⁹ Sara Roy, *Failing Peace: Gaza and the Palestinian-Israeli Conflict* (London: Pluto Press, 2007).



بها من معطيات تاريخية، فالحركة تمثل فكراً جزءاً من النضال الوطني والإسلامي الذي أعقب الحرب العالمية الأولى وتقسيم العالم الإسلامي، والذي عارض وناضل ضدّ الانتداب الإنجليزي في فلسطين وضدّ أهداف الصهيونية المبكرة في بناء وطن على أرض فلسطين، وهو مرتبط كذلك بالجهد النضالي الفلسطيني والذي أعقب حرب سنة 1948 وحرب سنة 1967 وما نتج عنهما من احتلال للأراضي الفلسطينية³⁰.

2. إن هذه المدرسة استطاعت أن تنظر بطريقة أوسع إلى حركة حماس باعتبارها منظمة سياسية اجتماعية، وأنها حركة مقاومة وطنية تتسم بالاعتدال والوسطية. ولا يمكن مقاربتها كـ"منظمة عنف مسلح" فقط، فقد أكدت العديد من الدراسات، أنه لا يمكن دراسة حماس من زاوية واحدة وبمعزل عن تطورات المشهد الفلسطيني تاريخياً³¹.

3. يميل الباحثون في هذا الخط إلى أن فوز حماس في انتخابات 2006 والذي مثل صدمة للمجتمع الدولي، لم يأت فقط من نضال حماس العسكري ضدّ الهجمات الإسرائيلية، بل تعداه إلى أن استطاعت حماس أن تفوز بقلوب وعقول الفلسطينيين كحركة منضبطة ومنظمة يتمتع أعضاؤها بالنزاهة والسمعة الحسنة بين السكان المحليين، إضافة إلى دعمهم وتمسكهم بالثوابت الفلسطينية³².

4. بالاستناد إلى المعلومات الأساسية الواردة إليهم من المقابلات والزيارات الميدانية، استطاع أكاديميو هذا الاتجاه أن يذهبوا بعمق لمناقشة طبيعة الحركة من الداخل، بل والذهاب إلى أبعد من ذلك في دراسة البيئة المحيطة والتي تدفع حماس لاستخدام "العنف". وقد تمكن هذا الفريق من الوصول إلى خلاصات، أهمها:

أ. إن حماس لا يمكن أن تتخلى عن خطها المقاوم، لأن الوعي الشعبي ما يزال يؤمن أن العمل المقاوم والمسلح هو السبيل للوقوف في وجه الاحتلال والعدوان الإسرائيلي.

ب. إنه من السهل البحث حول حماس بالاعتماد على العديد من المصادر بما فيها وثيقة الميثاق التاريخية للحركة 1988، والوصول إلى نتائج متعددة؛ لكن من المرجح أن ذلك سيقود إلى أخطاء، إن لم تصحبها دراسة لتطور فكر وسلوك حماس السياسي عبر الأحداث، ويتم إجراء مقابلات مع مؤيدي حماس.

Beverly Milton-Edwards and Stephen Farrell, *op. cit.*, p. 2. ³⁰

Ibid. ³¹

Ibid. ³²

ثالثاً: الجدل حول ميثاق حماس التاريخي:

يخضع الميثاق التاريخي لحماس للكثير من المناقشة وتباين الآراء، سواء من داخل الحركة أم من خارجها، ويعدُّ في كثير من الأحوال بمثابة وثيقة يستغلها البعض في مهاجمة الحركة بالاعتماد الحصري عليه في مقارنة الفكر السياسي لحماس. لقد تمَّ إصدار هذه الوثيقة سنة 1988 في محاولة من حماس لتقديم أيديولوجية مناهضة للأيديولوجية الصهيونية الساعية للهيمنة على المنطقة³³.

تبين بعض بنود الميثاق بوضوح تأثير "الإسلام السياسي"، وخصوصاً جماعة الإخوان المسلمين، على الأطر الفكرية الكلية لحماس. وهو ما يوضح الإطار الأيديولوجي العام لحماس. وقد أثارت هذه البنود، وبنود أخرى متعلقة بسعي حماس لتحرير كامل فلسطين والقضاء على المشروع الصهيوني، نقاشاً بين الباحثين الغربيين.

بعد صدور هذا الميثاق وخلال العقد التاليين، حدثت الكثير من التطورات في مشهد الصراع الإسرائيلي الفلسطيني والتي تفاعلت معها حركة حماس، حيث تعاطت الحركة مع إفرانات العملية السلمية، وإن لم تعترف بها رسمياً، كما أنها قبلت ضمناً بهدنة طويلة الأمد مع "إسرائيل" حال انسحابها من الأراضي التي احتلتها سنة 1967. ويرى بعض الباحثين، من خلال تتبُّع تطورات سلوك الحركة السياسي منذ 1992، أن قيادات حماس بدأت تدريجياً تبتعد في مواقفها السياسية عن بعض النصوص النظرية الواردة في الميثاق³⁴. وعلى الرغم من ذلك، يميل باحثون آخرون إلى مقارنة حماس ودراستها من خلال هذه الوثيقة التاريخية، دون النظر إلى التطورات التي ظهرت بشكل جلي في خطابها السياسي.

ما زال بعض الأكاديميين يستخدمون مفردات وبنوداً وردت في الميثاق كأدلة على أن حماس قائمة على أساس انتهاج العنف ضدَّ "إسرائيل"، وهو ما يمكن أن نراه جلياً في أعمال بعض الباحثين من أصحاب الاتجاه القائل بأن حماس منظمة "عنف مسلح"، أو في تلك الدراسات الصادرة عن بعض الباحثين الإسرائيليين، ومن هؤلاء ويم كورتينوفن Wim Kortenoeven، الباحث في مركز المعلومات والتوثيق حول

Mohamed Nimer, Charting the Hamas Charter Changes, *Insight Turkey* journal, vol. 11, no. 4,³³ October – December 2009, p. 115.

*Ibid.*³⁴



«إسرائيل» Centre for Information and Documentation of Israel، الذي يرى أن بنود الميثاق هي بمثابة «الخطوط العامة لأهداف وتكتيكات واستراتيجيات الحركة». ويؤكد كورتينوفن أن «الميثاق ما زال يحافظ على أهميته، وما زال مسؤولو حماس يؤكدون على مبادئه عدد لا يحصى من المرات». بحسب الكاتب هنا، فإن حماس ستعمل للقضاء على «إسرائيل» بناءً على التعاليم الدينية التي استشهد بها ميثاق سنة 1988. وهكذا يصبح الاعتدال في الأيديولوجيا غير ممكن، «فلا يوجد شيء اسمه نسخة معتدلة من القتل الجماعي أو من تدمير دولة». ويذهب الكاتب إلى أن «الميثاق يُعدُّ أساسياً لحماس، مما يعني أن إبطاله أو أيّ تغييرات في نصّ الميثاق سيُعني نهاية حماس كحركة»³⁵.

في المقابل، يميل اتجاه آخر من الباحثين إلى الاستنتاج أن ميثاق حماس قد يشكل قدراً من الإرباك إذا ما قورن بخطابها السياسي، إلا أن الميثاق لا يشكل أكثر من وثيقة تاريخية تم إصدارها إبان الانتفاضة الأولى، وينبغي النظر إليه كوثيقة تاريخية صادرة في تلك المرحلة وتحمل تصوراتها.

في سنة 2010 قدم جيم زنوتي Jim Zanotti، المحلل السياسي في قضايا الشرق الأوسط، دراسته للكونجرس Congress الأمريكي حيث أشار فيها:

إن هدف حماس المبدئي هو «تحرير» أرض فلسطين التاريخية (وهي إسرائيل الحالية، والضفة الغربية، وقطاع غزة) من أجل الفلسطينيين العرب وباسم الإسلام. هناك جدل عنيف بين المحليين ولربما في داخل حماس حول الملامح الأساسية لهذا الهدف. إن ميثاق حماس واضح تجاه التأكيد على أن الصراع مع إسرائيل هو فريضة دينية، وهو يشير إلى أن هذه البلاد هي أرض وقف ولا يمكن لأحد أن يتنازل عنها أو عن أيّ جزء منها³⁶.

يضيف زنوتي كذلك:

من المستبعد لأولئك الذين يقولون إن حماس منظمة براجماتية أن يعتبروها ملتزمة بالميثاق أو بخطاب يستهدف تجييش الدعم المحلي. لكن، ومن ناحية أخرى، أولئك الذين يؤكدون أن هناك إجماعاً داخل حماس على عدم التنازل عن المبادئ، يؤمنون بأن حماس ترى الأحداث من وجهة نظر تخالف تلك التي

³⁵ Floor Janssen, *op.cit.*, p. 30.

³⁶ Jim Zanotti, Hamas: Background and Issues for Congress, Congressional Research Service (CRS), 2/12/2010, p. 13, <http://www.fas.org/sgp/crs/mideast/R41514.pdf>

تخص المحليين الأمريكيين والدوليين، إذ إنهم يؤكدون أن لدى حماس مفهوم مختلف للزمن، يؤكد ارتفاع تدريجي ولكن ثابت لنجاحات الحركة على مدى أجيال (ضمن السياق الأوسع للإخوان المسلمين)، في مواجهة تحديات داخلية هامة ومعارضة خارجية³⁷.

رابعاً: حماس بمعزل عن الإرهاب الدولي:

غالباً ما تتم الإشارة إلى حماس بمعزل عن مجموعات "العنف" التي تنتهج الخيار العسكري لتحقيق أهدافها، ولكن كثيراً ما يقارن الساسة الإسرائيليون حماس بالقاعدة، على الرغم من أنها تحصر عملها العسكري بالأراضي الفلسطينية، وهو ما يميزها عن الكثير من المجموعات كمنظمة القاعدة ومثيلاتها. حتى أولئك الذين يصنفون حماس كمنظمة عنف مسلح لم يوردوا أيّاً من الإشارات التي تبين أيّ علاقة لحماس بالإرهاب الدولي، ولم ينكروا أن الحركة تحصر جميع عملياتها ضدّ "إسرائيل" في داخل الأراضي الفلسطينية.

يعترف ماثيو ليفيت، على الرغم من تصنيفه لحماس كمنظمة ميليشيا عسكرية، أن الحركة وعلى الرغم من حضورها في المشهد الدولي، إلا أنها تلزم نفسها بالأعمال العسكرية في الأراضي التقليدية لـ "إسرائيل"، والصفة الغربية، وقطاع غزة. إن مشاركة حماس في الانتخابات التشريعية، ودخولها حكومة الوحدة الوطنية، وحكمها لغزة بعد انهيار اتفاق المصالحة، يخفف كثيراً من الادعاءات أن حماس تستهدف المصالح الغربية. يقول ليفيت:

تعدّ حماس نفسها ملتزمة بـ "المقاومة" وليس بالإرهاب. فالعديد من مؤيدي حماس وغيرها من المجموعات الفلسطينية الإرهابية أدانت هجمات 11 أيلول/سبتمبر في الولايات المتحدة (2001)، وهجمات 11 آذار/مارس في إسبانيا (2004)، وهجمات 7 تموز/يوليو (2005) في بريطانيا. ومن الواضح أن هذه المفاصلة أساسية لدى حماس ومناصريها. وفي معرض تقييمهم للتهديدات المحتملة من قبل المجموعات الفلسطينية التي تعتمد على الدولارات الأمريكية، استنتج مسؤولو جهاز أف. بي. أي. (FBI) Federal Bureau of Investigation أن نشاط [تلك المجموعات] الكثيف في جمع الأموال يعمل كرادع للعمليات



الإرهابية داخل الولايات المتحدة. وقد عبّر عن ذلك قادة حماس. فوفقاً للملخص
محضر اجتماع حماس في فيلادلفيا 1993، حصلت عليه الـ أف. بي. أي، ذكر
المشاركون أن جميع نشاطات [الدعم المالي] التي يتكلمون عنها تتعلق بنشاطات
داخل الولايات المتحدة. كما ذكروا أنه ليس من المصلحة التسبب بالمتاعب داخل
الساحة الأمريكية³⁸.

في دراسة لشريفة زهر Sherifa Zuhur، قدمت الباحثة والأكاديمية في دراسات
المنطقة العربية والعالم الإسلامي في مركز الدراسات الاستراتيجية التابع للكلية الحربية
الأمريكية خلال الفترة 2006-2009 مقارنة تؤكد فيها أن:

حماس تشارك غيرها من المجموعات الإسلامية المعتدلة مثل حركة الإخوان
المسلمين قبول التفكير العقلاني العلمي الغربي. (ويشكل انتقاد كلا المنظمين
بأنهما [حركتين] "أصوليتين" وتشابهان طالبان، إزعاجاً كبيراً لدى حماس).
فحماس تقبل مشروعية الدولة المدنية، بعكس تشديد ابن لادن والظواهري على
[مفهوم] الأمة الإسلامية. إن التدريب الغربي أو التعليم ذا الطابع الغربي لمعظم
قادة حماس له تأثير كبير على مواقف المنظمة. في الأصل، لم تصنف الولايات
المتحدة حماس كمنظمة إرهابية. لقد اعترفت وزارة الخارجية بعقد اجتماعات مع
ممثلي حماس حتى آذار/ مارس من سنة 1993، عندما اعترض الإسرائيليون.
لقد كانت مدركة [بوجود] فلسطينيين حول العالم، ممن هم مرتبطون بالإخوان
وفيما بعد بحماس. لقد بقيت منظمات فلسطينية التي هي من أعضاء منظمة
التحرير مثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين على لائحة الإرهاب، لكن من
الناحية العملية، أصبحت المجموعات العلمانية القومية الفلسطينية مشروعية
بعد أوسلو بالرغم من رفض بعض الفصائل لأوسلو. لقد عولمت حماس، التي
رفضت أوسلو ولكنها تعاملت بحيادية مع السلطة الوطنية في ذلك الوقت، في
الإعلام الأمريكي كتهديد إرهابي خطير منذ أوسلو ولغاية انتصارات انتخابات
2006 و2007. وكنتيجة لعداء الولايات المتحدة لحماس، أصبحت المنظمة تنظر
إلى الإدارة الأمريكية، وليس إلى الشعب الأمريكي، كعدو³⁹.

Matthew Levitt, "Could Hamas Target the West?," *Studies in Conflict & Terrorism* journal, ³⁸
vol. 30, issue 11, November 2007, p. 931.

Sherifa Zuhur, *Hamas and Israel: Conflicting Strategies of Group-Based Politics* (Strategic ³⁹
Studies Institute (SSI) – United States Army War College, December 2008), pp. 60–61,
<http://www.strategicstudiesinstitute.army.mil/pdffiles/pub894.pdf>

وتقول زهر، والتي عملت لسنوات كباحثة في العديد من مراكز أبحاث الدراسات الأمنية والجامعات العالمية:

حماس غير مهتمة في الجهاد العالمي مثل القاعدة، وهي مستمرة بالقول إن عدوها الوحيد هو إسرائيل؛ آملّة بتواصل أفضل مع الولايات المتحدة، ومدركة أن عدم سفر وتواصل قادتها مع الأمريكيين قد شوه صورتها. وقد مارست الولايات المتحدة وإسرائيل الضغط على الاتحاد الأوروبي لرفض حماس. وتحت هذا الضغط، قرر الاتحاد الأوروبي رفض الجناح المسلح لحماس ولم يرفض الحركة ككل. وحتى سنة 2003 وحتى ما بعدها، حافظت بعض الدول الأوروبية على علاقاتها مع حماس. وفي المجمل اتخذ المحللون الأمنيون التابعون للحكومات أو لحلف شمال الأطلسي مواقف متشددة تجاه حماس، ويبدو أنهم بطيئوا الإدراك بأن دعم الرئيس عباس هو قضية خاسرة⁴⁰.

خامساً: ديناميكيات جديدة داخل حماس وما حولها:

منذ فوزها في انتخابات سنة 2006، وُضعت حماس في بقعة الضوء، وازداد اهتمام الباحثين بها. البعض بدأ يتنبأ بانشقاقات داخل الحركة، إشارة إلى مواقف داخلية من قضايا من قبيل المصالحة مع فتح أو الموقف من الصراع مع "إسرائيل"، ولكن وبالرغم من كل هذه التحولات، بقيت الحركة متماسكة في بنيتها القيادية والتنظيمية.

خلال هذه التطورات أمسكت حماس بزمam الحُكم في قطاع غزة عقب انهيار اتفاق مكة في حزيران/ يونيو 2007، وهو ما وضع الحركة أمام تحديات كبيرة في مواجهة الاحتياجات اليومية للفلسطينيين، وفتح شهية "إسرائيل" بمهاجمتها في نهاية سنة 2008، بعد فرض حصار طويل على القطاع. وعلى الرغم من ذلك، أثبتت الحركة قوة وصموداً أمام هذه التغيرات، بل وازدادت قوتها وحضورها في المشهد الفلسطيني والإقليمي بعد الهجمات الإسرائيلية.

إن التغيرات التي حدثت مؤخراً في الإقليم بما فيها الثورة المصرية على نظام مبارك، أوجدت فرصاً وتحديات جديدة للحركة الفلسطينية. يشير إيفانجيلوس دياموتوبولوس

⁴⁰ Ibid., p. 61.



Evangelos Diamotopolus، الباحث في مركز دراسات شرق المتوسط في جامعة بيلوبونيز Centre for Mediterranean at the University of Peloponnese في اليونان:

لقد أثار الربيع العربي كثيراً في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وحماس ليست استثناءً من هذا التأثير، إذ تواجه الحركة العديد من المطالبات الداخلية والخارجية لأخذ قرارات تُسهم في تطوير واقعها وتوجيه بوصلتها. إن صعود الإخوان المسلمين المعتدلين، والذين هم مصدر نشأة حماس، واستعدادهم بشكل متزايد للالتزام بقواعد الديمقراطية في مصر، يدفع حركة المقاومة الإسلامية لوضع سلاحها ونبد الإرهاب. بالإضافة إلى ذلك، يبدو أن الرأي العام الفلسطيني يؤيد المصالحة بين فتح وحماس، وهو ما يتطلب من الحركة مزيداً من البراجماتية والاعتدال. وأخيراً، لقد كلف خيار عدم الوقوف إلى جانب الأسد في الحرب الأهلية في سورية حماس خسارة مستقبلية لموقعها في محور إيران وسورية وحزب الله. إلا أن هذا الثمن يبدو غير باهظ بعد الثورات العربية، إذ يبدو أن هناك استعداد لدى حكومات أخرى بالسماح لحماس ليس ببناء مراكز على أرضها فحسب بل بإقامة علاقات وطيدة مع حكوماتها أيضاً⁴¹.

في ضوء هذه التغيرات في البيئة السياسية والاجتماعية لحماس يدعو ناثن براون Nathan J. Brown، أستاذ العلوم السياسية والشؤون الدولية في جامعة جورج واشنطن George Washington University، إلى أهمية أن يتفاعل المجتمع الدولي مع التغيرات التدريجية التي تظهرها حماس عبر دراسة مقال مطول له بعنوان: ”هل بدأت حماس تنضج؟“⁴²، ويؤكد براون في مقاله:

بينما لا تزال وجهة حماس ملتبسة إلى حد كبير، يبدو دافع قادتها للإقدام على المضي في هذا المسار أكثر وضوحاً. فهم يسعون إلى وضع الحركة إقليمياً في موضع تكون قادرة فيه على الاستفادة الكاملة من التغييرات في مصر وصعود الإسلاميين بشكل عام، وكذلك التعامل مع تفكك النظام السوري الذي

Evangelos Diamantopoulos, "Hamam After the Arab Spring," Middle East Flashpoint, no. 27,⁴¹ site of Centre for Mediterranean, Middle East & Islamic Studies, University of Peloponnese, p. 3, http://www.cemmis.edu.gr/files/hamas_after_the_arab_spring.pdf

ناثن ج. براون، ”هل بدأت حماس تنضج؟“ مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 2012/1/13، انظر: <http://www.carnegie-mec.org>

استضافهم لفترة طويلة. كما توفر المصالحة إمكانية معاودة الظهور في الضفة الغربية حيث اضطر جزء كبير من الحركة — بقسوة أحياناً — إلى الدخول في سبات منذ العام 2007⁴³.

ويضيف الكاتب أيضاً:

قد تكون حكومة الحركة في غزة — والتي تمارس السلطة على نحو فعال للغاية على أرض الواقع لكنها لا تزال معزولة دولياً — قادرة على مواصلة عملية فتح النوافذ الدبلوماسية والاقتصادية التي ظلت مواربة على مدى العام الماضي. كما ستحصل حماس على صوت في عملية صنع القرار الفلسطيني، وعلى ما قد يصل إلى حدّ التمتع بحق الاعتراض (الفيتو) على الدبلوماسية الدولية إلى جانب الإنكار⁴⁴.

ويتساءل براون هنا:

هل هذا شيء يتعيّن تشجيعه دولياً؟ ما من شكّ في أن هناك تكاليف كبيرة. أولاً، سيكون من الصعب الاستمرار في دبلوماسية جدية تنهي النزاع، في محيط مُنحت فيه حماس صوتاً قوياً. لكن لن تتم إزالة أساس حلّ الدولتين تماماً. من جانبها تركت حماس الباب مفتوحاً قليلاً من خلال الإشارة إلى استعدادها لقبول قيام دولة على أساس حدود العام 1967. إنها رفضت فكرة أنها ستعترف بإسرائيل، لكن، كما سبق القول، فإن السؤال المناسب هنا هو ما إذا كانت الحركة ستقبل قراراً فلسطينياً بالاعتراف بإسرائيل باعتباره ملزماً، وليس عما إذا كانت ستغيّر أيديولوجيتها. وبالمثل أظهرت إسرائيل أحياناً استعدادها للتفاوض بشكل غير مباشر مع حماس⁴⁵.

يعترف الكاتب هنا ويؤكد:

في أحاديث لي مع بعض المسؤولين الذين انخرطوا في الدبلوماسية الإسرائيلية — الفلسطينية في عامي 2005 و2006، أدهشني العدد الكبير — خصوصاً على الجانب الأوروبي، ولكن حتى بين بعض المسؤولين الأمريكيين — ممّن يرون ردّ الفعل على فوز حماس بمثابة خطأ تكتيكي. فبدلاً من ردّ فعل يأتي عن طريق

⁴³ المرجع نفسه.

⁴⁴ المرجع نفسه.

⁴⁵ المرجع نفسه.



الضغط على الحركة في لحظة أصبحت تمتلك فيها، للمرة الأولى، نصيباً من المسؤولية السياسية وشيئاً تخسره، تمثل ردّ الفعل الدولي في سحقتها⁴⁶.

يُحاجج براون كذلك ”إن اتّخاذ موقف حذر بدلاً من موقف عدائي عندما يتعلّق الأمر بالمصالحة الفلسطينية وخطوات حماس الصغيرة نحو التغيير التطوّري لن يحوّ أخطاء العقد الماضي. إلا أن ذلك قد يضع الأساس للتعافي منها في نهاية المطاف“⁴⁷.

في دراسة بعنوان: ”قابلوا التغيير في حماس: تحول استراتيجي أم تطور تكتيكي بعيد عن العنف“، تقول بينيديتا بيرتي Benedetta Berti، الباحثة في مجال دراسات العنف السياسي والنزاعات في معهد دراسات الأمن القومي والمحاضرة في جامعة تل أبيب:

هناك عاملان سيسهمان بشكل خاص في تحديد مستقبل تطور المجموعة [حماس]: كيفية إدراكها للبيئة الأمنية ونجاح مشروع المصالحة السياسية. إذا طُبعت المصالحة الداخلية الفلسطينية الحياة السياسية الفلسطينية وتشكّل ائتلاف سياسي موحد، فستكون من مصلحة حماس العليا الاستمرار في استثمار السياسة غير العنيفة—ولكن هذا مشروع بإعطائها حصة مهمة من القوة السياسية في فلسطين ما بعد ”المصالحة“. وكذلك، إذا أدركت المجموعة أن البيئة الأمنية غير مهددة لها، قد يكون لها مصلحة في عدم التركيز على الجهاز العسكري. على أيّ حال، فهناك ثلاثة عوامل مهمة تعترض طريق هذا التطور: أولاً، لقد قوّت حماس خلال السنوات الأخيرة الجهاز العسكري، مفترضة أن أيّ محاولة لإضعاف القيادة العسكرية قد يؤدي إلى صراعات داخلية عنيف. ثانياً، من غير الواضح ما إذا كان سيسمح المتشددون في حماس بتغيير استراتيجي غير عنيف، وما إذا كان ذلك سيؤدي إلى المزيد من الصراعات الداخلية، مهدداً التماسك الداخلي للمجموعة. ثالثاً، إن الرفض الحازم من المجتمع الدولي وإسرائيل تجاه أيّ حكومة فيها [أعضاء من] حماس، قد يؤدي من جديد إلى تهميش الحركة، والذي قد يؤدي إلى آثار معاكسة، فيصبح القادة المتشددون أكثر قوة ويضعف من فرص الخطاب المعتدل.

وفي هذا السياق، إن مستقبل استراتيجية حماس اللا عنفية هي واعدة وغير أكيدة في الوقت نفسه، فهي معلقة بخيط مسار المصالحة الفلسطينية،

⁴⁶ المرجع نفسه.

⁴⁷ المرجع نفسه.

والتجاذبات الداخلية بين خطوط العمل العسكرية والسياسية، وتطورات
”الربيع العربي“ وردود الفعل الإسرائيلية والدولية إزاء هذه التطورات⁴⁸.

في ظلّ تطورات الربيع العربي، أصدرت مجموعة الأزمات الدولية International Crisis Group في بروكسل، تقريرها رقم 129 حول تغيرات الربيع العربي وانعكاساتها على حركة حماس، حيث يلخص القائمون على الدراسة في التقرير:

إن المجتمع الدولي يراهن على الخيارات التي ستتخذها حماس في النهاية. ستستمر الحركة بلعب دور حيوي في السياسة الفلسطينية، مما يؤثر على احتمال تجدد المفاوضات الإسرائيلية - الفلسطينية وكذلك على احتمالات نجاحها. إن توحيد الضفة الغربية وقطاع غزة ليس أمراً مرغوباً فحسب؛ بل إنه ضروري لتحقيق حلّ الدولتين. كما أن الانفصال الجغرافي مصحوباً باستمرار العزلة الاقتصادية لقطاع غزة يحتوي بذور المزيد من الصراع مع إسرائيل. لهذه الأسباب فإن العالم، والغرب بشكل خاص، ينبغي أن يفعل أكثر من مجرد الوقوف جانباً والتفرج على حماس وهي تصارع على مستقبلها. بدلاً من ذلك ينبغي على الولايات المتحدة وأوروبا اختبار ما إذا كان بوسعهما اغتنام الفرصة التي وفرها تطوران مترابطان: أولاً، استلام حركات إسلامية للسلطة (خصوصاً في مصر) وهي حركات حريصة على تحسين علاقتها مع الغرب، وترغب بالاستقرار وتبعث بإشارات مفادها أنها لا ترغب بجعل القضية الإسرائيلية - الفلسطينية أولوية. وثانياً، المناظرات الداخلية المكثفة التي تحدث داخل حماس حول اتجاه الحركة⁴⁹.

يؤكد الباحثون في التقرير على أهمية عدم تضييع الفرصة الناتجة عن التغيرات في مشهد الإقليم، واستثمار الفرص التي نتجت والتحديات التي واجهت حماس، وفي الإسراع لفهم ومقاربة الحركة بطريقة جديدة:

لقد حدث هذا في الماضي مرتين — بعد الانتخابات البرلمانية الفلسطينية سنة 2006 وبعد اتفاق الوحدة الوطنية في مكة سنة 2007 — حيث أضع

⁴⁸ Benedetta Berti, Meet the New Hamas: Strategic Shift or Temporary Deviation from A Violent Path, site of Open Democracy, 15/1/2012, <http://www.opendemocracy.net/benedetta-berti/meet-%E2%80%99new-%E2%80%99-hamas-strategic-shift-or-temporary-deviation-from-violent-path>

⁴⁹ ”ضوء في نهاية النفق؟ حماس والانتفاضات العربية.“ ترجمة من الإنجليزية، تقرير الشرق الأوسط رقم 129، 2012/8/14، مجموعة الأزمات الدولية، ص ii.



المجتمع الدولي الفرصة في مقاربتة حيال حماس، وتبنى سياسات أنتجت تقريباً عكس المتوقع: حيث عززت حماس سيطرتها على قطاع غزة؛ واندلعت أحداث خطيرة مع إسرائيل؛ ولم تتم تقوية فتح؛ وتحللت المؤسسات الديمقراطية في الضفة الغربية؛ ولم يقترب اتفاق السلام من التحقق. مع فرصة ثالثة سانحة، وسط تحسّن جذري في العلاقات مع الحركات الإسلامية في سائر أنحاء المنطقة، ينبغي على الغرب أن يضمن ألا يُترك مرة أخرى، مقيداً على الرصيف، مكتفياً بمراقبة انطلاق قطار الأحداث⁵⁰.

خلاصة:

تنطوي المقاربة البحثية لحركة المقاومة الإسلامية حماس من قبل العديد من الباحثين والخبراء الغربيين على قدر من الاختلاف والتناقض أحياناً. ومردّد ذلك قلة المعلومات المباشرة والمتوفرة لديهم عن الحركة وقياداتها، أو التركيز في الحكم على الحركة من خلال ردّات الفعل والمواقف الدولية للأطراف الرئيسية المؤثرة في الصراع العربي الإسرائيلي. يضاف إلى ذلك أن أهم مظاهر الالتباس في مقاربة حماس بحثياً وسياسياً ينحصر في ثلاثة عوامل: الأول، التركيز في الحكم على الحركة باعتبارها جزءاً من تجربة "الإسلام السياسي" في المنطقة، دون النظر إلى خصوصيتها الذاتية باعتبارها حركة تحرر وطني. أما الثاني، فنلمحه في التركيز على محاكمة الحركة من خلال بنود في ميثاقها التاريخي الصادر في سنة 1988، دون النظر إلى واقعية حماس في الممارسة السياسية تجاه المتغيرات. ويكمن العامل الثالث من خلال مقاربة حماس كميليشيا عسكرية تنتهج "العنف" ضدّ إسرائيل، وإغفال المكانة الشعبية التي حصلت عليها بين الفلسطينيين، الذين ما زال الكثير منهم يؤمن بأهمية المقاومة لحماية أنفسهم، واستعادة حقوقهم المشروعة في أرضهم المحتلة، خصوصاً في ظلّ الغياب الواضح لأيّ مخرجات يمكن الاستناد إليها من عملية السلام الجارية.

إن معظم الدراسات التي بحثت في حماس من الداخل واستمعت إلى قادتها، وتمكنت من دراسة العوامل الاجتماعية والسياسية المحيطة بالحركة والمؤثرة في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، إضافة إلى ملاحظتها للتطورات الميدانية في الشارع الفلسطيني،

⁵⁰ المرجع نفسه.

تمكنت إلى حدٍ كبير من أن تنجح في مقارنة الحركة على حقيقتها، بعكس تلك التي اعتمدت على تحليل الوثائق والدراسات الصادرة حول حماس، خصوصاً من خصومها أو أعدائها (كالمصادر الإسرائيلية والصهيونية)، أو الأخرى التي ذهبت بعيداً في الحكم على حماس من خلال بعض البنود المتجزئة من ميثاقها.

في رحلة البحث والتحليل للنصوص العلمية المنشورة حول حركة حماس الفلسطينية، بقي السؤال المهم والعميق: لماذا ما تزال الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي تتخذان موقفاً متحفظاً تجاه حماس على الرغم من تلك الأعمال البحثية والدراسات الكثيرة التي تدعو للحوار مع الحركة وإدماجها في المنظومة الدولية؟ إن هذا السؤال يفتح الباب لمزيد من البحث مستقبلاً حول أهمية الدراسات الغربية للحركة، من زاوية مدى تأثيرها وتأثرها بالسياسات الغربية تجاه حماس وتجاه الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي.

Islamic Resistance Movement

Hamas

Studies of
Thought &
Experience

هذا الكتاب

تُمثّل حركة المقاومة الإسلامية حماس أحد أبرز حركات المقاومة الفلسطينية. وهي حركة تحظى بشعبية واسعة في الوسط الفلسطيني، وتتبنى الإسلام عقيدة وسلوكاً ومنهجاً، وتنتمي إلى مدرسة الإخوان المسلمين.

شارك في إعداد هذا الكتاب 17 من الأساتذة والباحثين المتخصصين وقيادات من حركة حماس، وهو يستعرض النشأة التاريخية لحركة حماس وتطورها، والرؤية السياسية لها، ونظرتها للعدو الصهيوني، وموقفها من مشاريع التسوية السلمية، ومن القضايا الفلسطينية، ورؤيتها لعملية الإصلاح السياسي والاجتماعي؛ كما يناقش دوائر علاقات حماس العربية والإسلامية والدولية، وغيرها من القضايا المهمة.

ويعدّ هذا الكتاب أحد أبرز المراجع المتخصصة في فكر حركة حماس وتجربتها، ولا غنى عنه لكل المعنيين بدراسة هذه الحركة؛ فهو يلتزم بمناهج البحث العلمي وكل ما يتطلبه ذلك من دقة وموضوعية وتوثيق؛ كما يضيف جديداً من خلال إسهامات من قيادات حماس نفسها.

د. محسن محمد صالح



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations

ص ب: 14-5034 بيروت - لبنان

تلفون: +961 1 803 644 | تليفاكس: +961 1 803 643

info@alzeytouna.net | www.alzeytouna.net



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

